

## أسس النجاح في الأعمال الحرة

الإيمان بالعمل

روح الجشونة

التفاؤل

حب المغامرة

جلست نصف ساعة إلى تاجر ناجح، رأس ماله الحاضر حوالي مائة ألف جنيه ، وقد خسر رأس ماله كله ثلاث مرات ؛ ثم امتدده ثلاث مرات ولا يزال يعدّ نفسه للكسب وللتسارة حسب الأحوال .

وقد خرجت من هذه الجلسة بمعلومات نافعة ثمينة آثرت أن أضعها بين يدي شبابنا الذين يهيمون بافتحام هذا الميدان .

### حب المغامرة :

عرفت أن أساس النجاح في الأعمال الحرة أن يكون في النفس جانب من حب المغامرة والارتياح إلى التجربة والاستعداد للنهوض بعد كل عثرة بنفس الحمة ونفس الرغبة ، وهذا ممكن إذا ما اعتبر الإنسان كل تجربة تمرّ به شيئاً يفيد ، شيئاً ذا قيمة لا يضره أن يؤدي منه ، ثم يبدأ الحياة بعده من جديد وهو أبعد نظراً وأفضل إدراكاً وأعرف بمواطن الزلل ! .

وهذه الميزة تظهر في الشاب الأمريكي بأقوى مما تظهر في شباب العالم . فالأمريكي حتى في سن الشيخوخة على استعداد لأن يبدأ حياته من جديد كلما خسر ثروته أو عمله ، ولا يعز على نفسه أن يكون اليوم من أصحاب الملايين ثم يكون في الغد مفلساً ، فيعود عاملاً صغيراً في المعامل التي كان أكبر المساهمين فيها ، فهو يجا عدة مرات لا مرة واحدة .

وعيننا الأصلي هنا أننا مرة واحدة ، فإما أن نتجح على طول الخط ، وإما أن نفشل ف نخسر الحياة ، ولا نستطيع ابتداء الشوط من جديد . وإياه ليجز علينا أن يرانا الناس في مركز أقل مما كنا نشغل ، أو في عمل أدنى مما كنا نعمل . وإهتمامنا بالناس وبما يقال عنا يقعدنا في أغلب الأحيان عن المحاولة الثانية . فما إن نعث حتى نلتصق بالأرض ولا نحاول النهوض من جديد ، ولو حاولنا لوجدنا أننا نستطيع .

فاذا استطعنا أن نبت في شعور الشبان حب المغامرة ، فإننا نمدحهم بمامل جديد من عوامل النهوض بعد العثار ، إذ تصبح المحاولة تلبية لشعور المغامرة ، الذي يدعو صاحبه لأن يحاول مرة أخرى كلما فشلت المحاولة الأولى ، لا على أمل الكسب وحده ، بل ترضية لشعور المغامرة ولذة المغامرة .

وقصص "السندباد البحري" تمثل روح المغامرة أوضح تمثيل . فقد كان "السندباد" يلاقى الأهوال في كل سفرة حتى يجبو أخيرا من المهالك وقد خسر تجارته ورأس ماله في الغالب ، ثم يتجر فيثري ويفنى ولكن حب السفر والرغبة في المغامرة يوسوسان له من جديد ، فيركب البحر من جديد ، ويسلم نفسه للأهوال لأنه مشغوف بالأهوال !  
نريد قيسا من روح "السندباد" في نفس كل شاب وكل رجل حتى لا ينجم حياته بعد التجربة الأولى ولا يطوى دفتاره ويأس من النجاح في الجولة الثانية .

### التفاؤل :

وهنا يأتي الكلام على التفاؤل . فالأيس والتشاؤم يقعدان بالهمة عن المحاولة الثانية ، ولا بد من قيس مضمي في الأفق يهتدى به السالك في الطريق . والتفاؤل مزاج ولكن يمكن تربيته بالعادة ، وتلك مهمة التربية المنزلية والمدرسية . على أن الإنسان يستطيع أن يعامله في نفسه إذا فاته ذلك في البيت والمدرسة . ويخطئ من يفهم أن التعلم والتعود يقفان عند حد معين من العمر ، ففي كل سن مع شيء من الإرادة يستطيع الفرد أن يربي نفسه وأن يتكيف حسب الظروف والأحوال وفي الأمثال يقولون : "من لا تربيته أمه وأبوه ، تربيته الأيام والليالي" وايست تربية الأيام والليالي إلا تربية الإنسان لنفسه ، ومعالجته لما فيه من عيوب على ضوء التجارب التي يلقاها ، والظروف التي يصادفها .

والتفاؤل عادة - كما قلنا - وإن كانت له علاقة بالمزاج ، فعلى الشاب المصري أن ينمي هذا الشعور في نفسه ، وأن يجرب أثره في المحاولة الثانية والثالثة ، فإن النجاح نفسه يفري بالتفاؤل كما أن التفاؤل يؤدي إلى النجاح والعكس بالعكس في التشاؤم والفشل فإنهما يقابلان التأثير .

### روح الخشونة :

ومما يساعد على اقتحام الحياة من جديد ، بجانب حب المغامرة والتفاؤل ، ألا يستسلم الإنسان للترف ، وألا يفير مستوى معيشته بمعدل ارتفاع ثروته ، وقد كان مما قاله لي هذا التاجر المكي : "إنني لم أتناثر كثيرا بضيايح ثروتي في المرات التي ضاعت فيها ، فأنا كما تراني أعيش عيشة بسيطة في هذا الحى (الحى الحسيني) وفي هذه الدار التي تراها ، وطعامي وشراي وملبسي وعاداتي لا تتغير كثيرا سواء افتقرت أم اغتنت ، وقد خسرت مرة ستين ألف جنيه هي كل رأس مالي فلم أشعر أنني مضطر للترول عن مستوى معين من المعيشة والمظاهر ، ولهذا كان معنى ضيايح رأس مالي هو ضيايح مبلغ من المال ، لا تحطيم حياة ، ولا انقلاب معيشة ، ولا نزولاً من شاق إلى أسفل سافلين ."

وهذه كلمات ثمينة ولقد استمعت إليها بإسغاء واهتمام وتقدير ، فالواقع أن أهم ما يؤذيها عند ما تفقد عملاً أو ثروة ، ليس ضيايح العمل أو الثروة ، إنما هو الأثار المترتبة

على هذا الضياع ، وأهمها النزول عن مستوى معين من المعيشة ، والتخلي عن نوع خاص من المنافع ، والاضطرار لترك عادات خاصة واتباع عادات أخرى لا تكون على استعداد لها بعد تقدم السن .

وعند ما كان هذا الرجل الناجح المكافح يلقى هذه الكلمات في بساطة - كبساطة مظهره وحياته - كانت ذا كرتي تنازعني إلى الحديث الشريف : "اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم" . وهذا "الاخشيشان" أزم ما يكون للكافرين في ميدان العمل الحر ، المرض للكسب والخسارة والصمود والهبوط ، والثروة المفاجئة والاملاق المفاجئ ، وفي هذا التغيير لذة ولا شك ، ولكنها تصبح مريرة مؤلمة إذا كان هذا التغيير يؤثر في مستوى الحياة الناعمة التي اعتادناها في عهد الرخاء .

### الإيمان بالعمل :

وخلة رابعة تساعد على النهوض بعد العثار ، تلك هي الإيمان بالعمل ، والشعور بأن الانسان خلق لي عمل فإذا فشل فهو مطالب بأن يعمل من جديد ، والواقع أن الإيمان بالعمل ينقص الكثيرين منا ، فهم يعتقدون أن الحاجة وحدها هي التي تدفع الإنسان إلى العمل ، فأما صاحب الثروة فقير مطالب بأن يعمل شيئاً ، وهؤلاء هم الذين سماهم مرة روبرت موريسون وزير الداخلية الإنجليزية "صنف الأغنياء المتعطلين" والذين نسميهم نحن في مصر "أولاد الذوات" !

وكلمة "أولاد الذوات" هذه رمز لمن لا يؤدون عملاً نافعاً ، فهي تنطبق على كل من لا يستحق اللقمة التي يأكلها ، لأنه لا يؤدي نظيرها شيئاً ، والشعور الذي ينقص هؤلاء هو شعور الإيمان بالعمل وبقداسة العمل . وهذا الشعور ليس وبقا على الأغنياء المتعطلين ، فكثير من الفقراء الذين يعملون يمتنون لو يستريحون من العمل ولو يأتيهم رزقهم رغداً وهم جلوس . وهذا التمني دليل على أن مرض "أولاد الذوات" كان في نفوسهم ولو كانوا فقراء !

فعلينا أن نحرص حب العمل والإيمان به في نفوس الأطفال والشبان ، وأن نزرع من لا يعمل ولو كان أغنى الأغنياء . والدين والمأثورات والمثل العليا جميعها قديماً وحديثاً تؤيدنا في هذا المجال .

هذه خواطر متائرة أو ثمرات مقطوفة من حقل التجارب لرجل ناجح معاصر مكافح ، يثق بالله ويتفأل بالمستقبل ، ويؤمن بالعمل . وهي ثمرات نافعة لشبان الجيل الذين نفوسهم الفرص الكثيرة ، لأنهم يهابون المعاصرة في العمل الحر ، فإذا غامروا مرة وخسروا تشاءوا وعجزوا عن استئناف الحياة لأنهم لا يثقون بأنفسهم ، ولا يؤمنون بالعمل ، ولا يتذوقون طعم المعاصرة والكفاح وهو طعم لذيذ مرير لمن يتذوقون !